[اَلْمَزْمُورُ الْحَادِي وَالسِّتُّونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ الأَوْتَارِ. لِدَاوُدَ

1اِسْمَعْ يَا اللهُ صُرَاخِي، وَاصْغَ إِلَى صَلاَتِي. 2مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ أَدْعُوكَ إِذَا غُشِيَ عَلَى قَلْبِي. إِلَى صَخْرَةٍ أَرْفَعَ مِنِّي تَهْدِينِي. 3لأَنَّكَ كُنْتَ مَلْجَأً لِي بُرْجَ قُوَّةٍ مِنْ وَجْهِ الْعَدُوِّ. 4لأَسْكُنَنَّ فِي مَسْكَنِكَ إِلَى الدُّهُورِ. أَحْتَمِي بِسِتْرِ جَنَاحَيْكَ. سِلاَهْ. 5لأَنَّكَ أَنْتَ يَا اللهُ اسْتَمَعْتَ نُذُورِي. أَعْطَيْتَ مِيرَاثَ خَائِفِي اسْمِكَ. 6إِلَى أَيَّامِ الْمَلِكِ تُضِيفُ أَيَّاماً. سِنِينُهُ كَدَوْرٍ فَدَوْرٍ. 7يَجْلِسُ قُدَّامَ اللهِ إِلَى الدَّهْرِ. اجْعَلْ رَحْمَةً وَحَقّاً يَحْفَظَانِهِ. 8هَكَذَا أُرَنِّمُ لاِسْمِكَ إِلَى الأَبَدِ. لِوَفَاءِ نُذُورِي يَوْماً فَيَوْماً.

صخرة أرفع مني

كتب داود عدة مزامير بمناسبة انقلاب أبشالوم الفاشل ضده (2صم 15–18، راجع مقدمة مز 3) وهذا المزمور أحدها، كتبه وهو في طريق عودته إلى قصره من مكان هروبه في شرق الأردن. وفيه يعبر عن حاله في وقت عصيب، يعجز فيه العقل عن التفكير والتعبير، ولكن سلام الله داخله جعله يرنم.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – صرخة قلب متعَب (آيات 1–4)

ثانياً – ثقة قلب متعَب (آيات 5–8)

أولاً ـ صرخة قلب متعَب

(آيات 1-4)

1 – صلاة القلب المتعب: «اسمع يا الله صراخي واصغ إلى صلاتي. من أقصى الأرض أدعوك إذا غُشي على قلبي. إلى صخرة أرفع مني تهديني» (آيتا 1، 2). يوجه داود صلاته إلى «الله» السيد الذي له كل سلطان في السماء وعلى الأرض، كما أنه إله العهد، الذي تعهد لشعبه بالرعاية والحماية، وقبل أن يُدعى اسمه عليه. أحياناً نركز على المشكلة، ونشكو من ضخامة حجمها وضآلة قدراتنا أمامها. ولكننا نتعلم من داود كيف نتجه إلى الرب الذي يملك الحل، ونقول له: «اسمع». «اصغ». «أدعوك». صلى بصوت خافت، وصرخ بصوت مرتفع بإلحاح وحرارة طالباً من الله ألا يسكت حتى ينقذه ويباركه (تك 32: 26). والله يحتملنا في انفعالاتنا، ويُميل أذنه إلينا. فلنشكره على الفضل، ولنعترف له بالخطإ، ولنطلب منه أن يسدد احتياجاتنا الصحية والمالية والعائلية والروحية.

نُفي داود من قصره، ومكان عبادته، ومقر عرشه، فهرب إلى «أقصى الأرض» إلى شرق الأردن بعيداً عن أورشليم، فغشي على قلبه، بمعنى أن الحزن غلفه، بسبب بُعده عن بيت الله، وصدمته في ابنه الغالي أبشالوم، وفي أصحابه الذين كانوا أوفياء.

ولكنه أدرك أن هناك «صخرة أرفع منه» يهديه الله إليها. لقد عجز عن هداية نفسه، وحار مشيروه في اقتراح حل مناسب، فاتجه إلى ربه، صخره الذي يعطي الإحساس بالقوة، وبالدوام. «إنما هو صخرتي وخلاصي، ملجإي. لا أتزعزع كثيراً.. على الله خلاصي ومجدي، صخرة قوتي، محتماي في الله» (مز 62: 2، 7). فإن اهتدينا إلى صخرة أرفع منا سنعلو على أعدائنا، ولكننا سنحتاج إلى قوة للتسلق إليها، وإلى مرشد يرينا سُبل تسلقها. نحتاج إلى أذرع الله الأبدية لترفعنا، وإلى قوة داخلية ينشئها فينا روحه لنتجاوب مع قوة جذب تلك الأذرع الإلهية (تث 33: 27).

2- صلاة مبنية على ذكريات حلوة: «لأنك كنت ملجأ لي. بُرج قوة من وجه العدو» (آية 3). «اسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع» (أم 18: 10). اتجه المرنم للرب واثقاً أن الذي وقف بجواره في الماضي سيقف معه في الحاضر، ودائماً. «كنت فتى وقد شخت، ولم أرَ صديقاً تُخلي عنه ولا ذريته تلتمس خبزاً» (مز 37: 25). كان الله برج حماية لداود من الأسد والدب اللذين هاجما قطيعه فقتلهما، ومن جليات الجبار، ومن محاولات شاول لقتله، ومن انقلاب أبشالوم الفاشل عليه.

3- صلاة فيها وعدان: «لأسكننَّ في مسكنك إلى الدهور. أحتمي بستر جناحيك» (آية 4). في الصلاة وعد الله بوعدين، أولهما: أن يتعبد لله دائماً في مسكنه، قائلاً: «واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله» (مز 27: 4).

بعد أن اختبر محبة الله التي أعطته ثقة ومنحته سلاماً في وقت ضيقه، وعد الرب أن يسكن متعبداً في بيته دائماً. والعابد هو الذي يستعبد نفسه لله بحياة الطاعة والخدمة، فليست العبادة مجرد كلمات تُتلى، ولكنها حياة تُعاش في خدمة الرب والعبودية الطوعيَّة له.

أما وعد داود الثاني للرب فهو أن «يحتمي بستر جناحيه» ليشعر بالاطمئنان كأنه فرخٌ صغير، يلجأ إلى الجناحين الكبيرين ليحتمي بهما، فيشعر بالمحبة والدفء والاستقرار والراحة، ويتحقق معه الوعد: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب» (يو 14: 27).

ثانياً _ ثقة قلب متعب

(آيات 5-8)

1- ثقة مبنية على معاملات الله السابقة: «لأنك أنت يا الله استمعت نذوري. أعطيت ميراث خائفي اسمك» (آية 5). ثقتنا في الإله الذي ساندنا بالأمس تنعشنا فنثق فيه اليوم وغداً. وضع داود ثقته في الرب الذي نذر إليه نذره، فنظر إليه وسمع طلبه. وكان يعقوب جده قد نذر نذراً وهو يهرب من وجه أخيه عيسو (تك 28: 20–22) ولما واجه شقيقه عيسو (تك 31: 13)، واستجاب الرب طلبة يعقوب. ومضت اثنتان وأربعون سنة دون أن يفي يعقوب بنذره، فذكره الله به (تك 35: 1). وداود هنا يعد الرب أنه لن يتأخر بالوفاء بالنذر، لأن الرب لن يتأخر قط عن الوفاء بالوعد. لقد أعطى نسل إبراهيم ميراثاً هو أرض كنعان، بالرغم من استحالة حصولهم عليه بقوتهم العسكرية، لأنه وعد وحقق وعده. ووعد المسيح تلاميذه بسداد أعوازهم، وفعل، ثم سألهم: «حين أرسلتكم بلا كيس ولا مذود ولا أحذية، هل أعوزكم شيء؟» فقالوا: «لا!» (لو 22: 35).

(انظر التعليق على النذر في تفسيرنا لمزمور 50: 14).

2- ثقة مطمئنة لاستمرار محبة الله: «إلى أيام الملك تضيف أياماً. سنينُه كدور فدور. يجلس قدام الله إلى الدهر. اجعل رحمة وحقاً يحفظانه» (آيتا 6، 7). يطمئن داود إلى محبة الله التي ستستمر، ويثق أنه سيعطيه أياماً وعمراً مديداً. سيرجع إلى عرشه بعد انقلاب ابنه الفاشل ضده لأنه «إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسند يده» (مز 37: 24). وليس داود هو المقصود بأن سنيه كدور فدور «لأن داود بعدما خدم جيله بمشورة الله رقد» (أع 13: 36)، لكن المقصود هو الملك ابن داود الذي قيل فيه قبل ميلاده بسبعمئة سنة: «لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا» (إش 9: 6، 7).

ويقول داود إن الرحمة والحق يحفظانه.. الرحمة أولاً، فالرب يرحمنا دون أن نستحق. والحق هو أمانة الله مع المؤمنين وتحقيق وعوده لهم. فبرحمته دخل في عهد مع شعبه، وبحقه يضمن لهم استمرار ذلك العهد (يو 10: 28–30 ورو 8: 35–39).

3- ثقة تعبر عن نفسها بالترتيل: «هكذا أرنم لاسمك إلى الأبد، لوفاء نذوري يوماً فيوماً» (آية 8). يختم داود صلاته الواثقة بالتسبيح الذي هو جزء من نذره. وكلما سبح الإنسان امتلأ قلبه بالفرح. «أعلى أحد بينكم مشقات؟ فليُصلِّ. أمسرورٌ أحد؟ فليرتل» (يع 5: 13). بدأ مزموره يصرخ مصلياً لأنه كان في مشقة، وختمه بالشكر والترنيم. امتلأ قلبه بالفرح فعبَّر عن ثقته في الرب بالترتيل.

«سبحوا الرب لأن الترنيم لإلهنا صالح، لأنه مُلذّ. التسبيح لائق» (مز 147: 1).

اَلْمَزْمُورُ الثَّانِي وَالسِّتُّونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى «يَدُوثُونَ». مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

1إِنَّمَا لِلَّهِ انْتَظَرَتْ نَفْسِي. مِنْ قِبَلِهِ خَلاَصِي. 2إِنَّمَا هُوَ صَخْرَتِي وَخَلاَصِي مَلْجَإِي. لاَ أَتَزَعْزَعُ كَثِيراً.

3إِلَى مَتَى تَهْجِمُونَ عَلَى الإِنْسَانِ؟ تَهْدِمُونَهُ كُلُّكُمْ كَحَائِطٍ مُنْقَضٍّ كَجِدَارٍ وَاقِعٍ! 4إِنَّمَا يَتَآمَرُونَ لِيَدْفَعُوهُ عَنْ شَرَفِهِ. يَرْضُونَ بِالْكَذِبِ. بِأَفْوَاهِهِمْ يُبَارِكُونَ وَبِقُلُوبِهِمْ يَلْعَنُونَ. سِلاَهْ.

5إِنَّمَا لِلَّهِ انْتَظِرِي يَا نَفْسِي، لأَنَّ مِنْ قِبَلِهِ رَجَائِي. 6إِنَّمَا هُوَ صَخْرَتِي وَخَلاَصِي. مَلْجَإِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ. 7عَلَى اللهِ خَلاَصِي وَمَجْدِي. صَخْرَةُ قُوَّتِي مُحْتَمَايَ فِي اللهِ. 8تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ يَا قَوْمُ. اسْكُبُوا قُدَّامَهُ قُلُوبَكُمْ. اللهُ مَلْجَأٌ لَنَا. سِلاَهْ.

9إِنَّمَا بَاطِلٌ بَنُو آدَمَ. كَذِبٌ بَنُو الْبَشَرِ. فِي الْمَوَازِينِ هُمْ إِلَى فَوْقُ. هُمْ مِنْ بَاطِلٍ أَجْمَعُونَ. 10لاَ تَتَّكِلُوا عَلَى الظُّلْمِ، وَلاَ تَصِيرُوا بَاطِلاً فِي الْخَطْفِ. إِنْ زَادَ الْغِنَى فَلاَ تَضَعُوا عَلَيْهِ قَلْباً. 11مَرَّةً وَاحِدَةً تَكَلَّمَ الرَّبُّ، وَهَاتَيْنِ الاثْنَتَيْنِ سَمِعْتُ: أَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ. 12وَلَكَ يَا رَبُّ الرَّحْمَةُ، لأَنَّكَ أَنْتَ تُجَازِي الإِنْسَانَ كَعَمَلِهِ.

إنما الثقة في الرب وحده

يتحدث هذا المزمور عن الثقة الحقيقية بالله وحده، كانت ترنمه جوقة الترنيم بقيادة إمام المغنين يدوثون اللاوي «على يدوثون» أي على اللحن الذي وضعه يدوثون. مثله مثل مزموري 39، 77. وكان أولاد يدوثون بوابين لمسكن الرب (1أي 16: 42) ولكنهم كانوا أفضل المرنمين، لأن الذي يُحسن عمله يحسن تسبيحه وشكره لله. والمرنمون حسناً لا يخجلون من القيام بأية خدمة للرب، وشعارهم «اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار!» (مز 84: 10).

يتميز هذا المزمور بورود كلمة «إنما» ست مرات، أربع منها عن الله، هي: «إنما لله انتظرت نفسي» (آية 1). «إنما هو صخرتي» (آية 2). «إنما لله انتظري يا نفسي» (آية 5). «إنما هو صخرتي» (آية 6). ومرتان عن أعداء المرنم: «إنما يتآمرون» (آية 4). «إنما باطل بنو آدم» (آية 9). وتحتمل كلمة «إنما» معنيين: «بالتأكيد أو بالحقيقة» كما تعني «وَحْدهُ». فداود يقول إنه بالتأكيد سيجوز الأزمات ويفوز بعون الله وحده، ولذلك يضع ثقته في الله وحده.

عندما كان شاول يطارد داود ليقتله جاءه صديقه يوناثان بن شاول «وشدد يده بالله» (1صم 23: 16). وعندما غضب وثار أصحاب داود عليه وأرادوا أن يرجموه «تشدَّد بالرب إلهه» (1صم 30: 6). والمزمور تعبير شعري عن الثقة الجميلة المطمئنة بالرب خصوصاً في أوقات اليأس.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الثقة الصادقة (آيتا 1، 2)

ثانياً – الثقة الشاكية (آيتا 3، 4)

ثالثاً – الثقة المعلِّمة (آيات 5–12).

أولاً _ الثقة الصادقة

(آيتا 1، 2)

1- الثقة تنتظر الله: «إنما لله انتظرت نفسي. من قِبله خلاصي» (آية 1). ينتظر المرنم الله الذي يحقق وعوده، كما قال عنه موسى: «فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل» (تث 7: 9). وقال عنه يشوع: «لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلم به الرب بيت إسرائيل، بل الكل صار» (يش 21: 45 و23: 14). وقال عنه سليمان: «مبارك الرب الذي أعطى راحة لشعبه حسب ما تكلم به عن يد موسى عبده» (1مل 8: 56). وقال عنه بولس: «أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه، يسوع المسيح ربنا» (1كو 1: 9). وتتحدث رسالة العبرانيين عن وعد الله لشعبه وقسمه لهم، ثم تقول: «حتى بأمرين عديمي التغيُّر (هما الوعد والقَسَم) لا يمكن أن الله يكذب فيهما، تكون لنا تعزية قوية، نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا» (عب 6: 18).

وفي انتظار المرنم للرب يعلن ثقته أن الخلاص آتٍ لا شك فيه. وفي الانتظار أيضاً تأمل بهدوء وخشوع، إذ يتذكر المرنم معاملات الله السابقة معه. وفيه أيضاً راحة، لأن القلق يفارق الإنسان الذي يسكب قلبه أمام الله. لقد أعدَّ الله لنا الخلاص، ويُعدُّنا له، ويحفظنا للخلاص المستعد أن يُعلن في الزمان الأخير (1بط 1: 5). والمرنم ابنٌ ينتظر أباه باطمئنان الواثق وتوقعه، مردداً مع المسيح: «يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو 22: 42). وهو ينتظر كتلميذ يتعلم من أستاذه، جالساً عند قدميه يصغي لكلمات النعمة الخارجة من فمه، كما كان التلاميذ يتبعون المسيح، يتعلمون من كلماته، وإجاباته، وأفعاله، وردود أفعاله. وهو ينتظر كإناء في يد الفخاري الأعظم يشكله ويجمله (إر 18: 4). وهو ينتظر كعبد لله تتجه عيناه نحو يد سيده «كما أن عيون العبيد نحو أيدي

سادتهم. كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا» (مز 123: 2). فالعيون تشخص إليه عالمة أنه «القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا» (أف 3: 20).

2- الثقة تطمئن بالله: «إنما هو صخرتي وخلاصي، ملجإي. لا أتزعزع كثيراً» (آية 2). تشجع داود وانتظر الرب مطمئناً لأنه يثق في محبة الله له، وفي توقيته الرائع ليعطي البركة. وانتظر الرب لأنه القوي القادر أن يحقق وعوده. وتتضح هذه الثقة من الصفات الثلاث التي يطلقها على الله:

(أ) **إنه صخرة**: «إنما هو صخرتي». مرتفع، أمين، لا يتغير، ثابت، نجد فيه الحماية. له يقول إشعياء: «يا رب، أنت إلهي أعظمك. أحمد اسمك لأنك صنعت عجباً.. كنت حصناً للمسكين. حصناً للبائس في ضيقه. ملجأً من السيل. ظلاً من الحر» (إش 25: 1، 4). «أصعدني من جُب الهلاك، من طين الحمأة، وأقام على صخرةٍ رجليَّ. ثبت خطواتي» (مز 40: 2).

(ب) **فيه وبه الخلاص**: «إنما هو.. خلاصي». «من قِبَله خلاصي» (آية 1ب). يخلِّص من المرض «جميع المرضى شفاهم» (متى 8: 16). ويخلص من الضيق «ملاك حضرته خلصهم» (إش 63: 9). «أما خلاص الصديقين فمن قِبَل الرب، حصنهم في زمان الضيق» (مز 37: 39). ويخلص من القلق: «فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليوم شرُّه» (متى 6: 34). ويخلص من الخطية «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك» (لو 19: 10). وهو يخلص دائماً: من الماضي بالغفران، وفي الحاضر بالتقديس، وفي المستقبل يكمل الخلاص بدخول عبده الواثق إلى مجده الأبدي.

(ج) **إنه الملجأ**: «ملجإي». الوحيد الذي يحمي اللاجئ إليه. إنه ملجأ منيع لمن يريد الإنقاذ والاحتماء من بحر هائج وأمواج مرعبة «فلا أتزعزع» (آية 6). وبعد أن أنقذ الرب داود من أيدي كل أعدائه، ومن يد شاول، قال: «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إله صخرتي به أحتمي. ترسي قرن خلاصي. ملجأي ومناصي. مخلصي، من الظلم تخلصني» (2صم 22: 1-3).

ثانياً: الثقة الشاكية

(آيتا 3، 4)

يدرك كل مؤمن حقيقي أنه يعيش في عالم معادٍ، وكلما زاد قربه من الله زادت مقاومة الشرير له، لأن إبليس لن يرضى بضياع أتباعه منه لينضموا إلى ملكوت الله. ولذلك لا تخلو حياتنا من المتاعب والضيقات «وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون» (2تي 3: 12). وقال المسيح: «لو كنتم من العالم لكان العالم يحبُّ خاصته. ولكن لأنكم لستُم من العالم، بل أنا اخترتُكم من العالم، لذلك يبغضكم

العالم» (يو 15: 19). ولكن في وسط هذه المتاعب كلها يُظهر الله لنا محبته بوضوح. «الله أمين، الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا» (1كو 10: 13). ولهذا يرفع المرنم شكواه إلى الله واثقاً أنه سيُستجاب. وترجع شكوى داود إلى:

1- استمرار المتاعب وكثرتها: إنه يسأل: «إلى متى تهجمون على الإنسان وتهدمونه؟ تهدمونه كلكم كحائط منقض، كجدار واقع؟» (آية 3). لقد هاجموه في عنف، ولكن في جُبن، لأن كثيرين اجتمعوا ضد واحد! وكانوا يظنون أنه ضعيف واهٍ كحائط يتهدَّم، تكفيه دفعة واحدة ليقع! هاجموه من قبل وفشلوا، ولكنهم لم ييأسوا فعاودوا الهجوم، كما هاجم إبليس المسيح وفشل، و«لما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين» (لو 4: 13). فلنكن مستعدين دائماً لهجوم الشرير علينا حتى لا نُفاجأ به.

2- تآمر شرير منافق، بهدف إبعاده عن أخلاقياته: « إنما يتآمرون ليدفعوه عن شرفه. يرضون بالكذب. بأفواههم يباركون وبقلوبهم يلعنون» (آية 4). ما أكثر التجارب التي تجيء بعد الانتصار على الخطية ونوال الخلاص. فلا يجب أن نطمئن للعدو المهزوم، بل لنحمل في كل حين سلاح الله الكامل، ولنتسلح به، لأن إبليس سيفاجئنا دائماً بهجوم يتجدد، وبأعداد كبيرة (أف 6: 13). «يتآمرون» على الإنسان الواحد «ليدفعوه عن شرفه». ولكن الواحد مع الرب هو القوي والثابت في الحق والبر. «يرضون بالكذب» ليشككوا المؤمن في فائدة إيمانه، وليقنعوه باستحالة الانتصار، فإبليس هو الكذاب وأبو الكذاب (يو 8: 44). فلنسمع الحكمة السماوية: «يا ابني لا تسلك في الطريق معهم. امنع رجلك عن مسالكهم» (أم 1: 15).

ثالثاً: الثقة المعلِّمة

(آيات 5-12)

بعد أن عبر عن ثقته في الرب، ورفع شكواه إليه، عاد يقدم النصائح لنفسه، ولأتباعه، وأعدائه:

1- المرنم الواثق في الله يعلم نفسه: (آيات 5–7)

(أ) **يعلمها انتظار الرب**: «إنما لله انتظري يا نفسي، لأن من قبله رجائي. إنما هو صخرتي وخلاصي، ملجأي فلا أتزعزع» (آيتا 5، 6). أعن داود هذه الحقيقة في آيتي 1، 2 ويكررها لنفسه ثانية. إنه يحض نفسه على انتظار الله، لأنه كان قد بدأ يتململ من طول الانتظار، فعاد يشجع نفسه على مزيد من الصبر وطول الأناة، لأن نور الصباح لا بد سيشرق مهما بدا أن الليل طال! ويقول لنفسه: «من قبله رجائي» فهو يحيا في الأمل، ولهذا قلَّ تزعزعه، وزاد ثباته. وواضح لكل من ينتظر الرب أن مستقبل المؤمن أفضل من ماضيه، وغده أفضل من حاضره. وفي هذا الاتجاه يثق أنه مهما جاءت

الرياح والأمطار بالمتاعب فالحماية والمجد والخلاص نصيبه من عند الرب. «حين أعيت فيَّ نفسي ذكرت الرب، فجاءت إليك صلاتي إلى هيكل قُدسك» (يون 2: 7).

فليقُل كل واحد منا لنفسه: لا تيأسي يا نفسي، ولا تشكّي في محبة الله، ولا تتركي موقعك. استمري في انتظار الرب، واستمدي رجاءك منه «لنكون لمدح مجده، نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح» (أف 1: 12).

(ب) **يعلمها الاحتماء بالرب**: «على الله خلاصي ومجدي، صخرة قوتي مُحتماي في الله» (آية 7). يشجع المرنم نفسه بصفات الله العظيمة، ويعلمها أن صاحب هذه الصفات هو الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه. هو الخلاص، والمجد، وصخرة القوة، وموضع الاحتماء الآمن. إنه مخلصنا وموضوع افتخارنا ومجدنا. ولما كان الخلاص على الله ومنه، فإن المجد والكرامة هي منه وإليه. ويكمل الله خلاص المؤمن بالمجد الذي يُستعلن فيه. فلنحتَم دوماً به.

2- المرنم الواثق في الله يعلم أتباعه: (آية 8).

(أ) **يعلمهم الاعتماد على الله دائماً**: «توكلوا عليه في كل حين يا قوم» (آية 8أ). يريدهم أن يختبروا ما اختبره هو، وأن يطمئنوا كما اطمأن هو . ينصحهم بعدم الخوف، وبالاتكال الكامل على الرب، في وقت الراحة كما في وقت التعب. «ذو الرأي الممكن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكل. توكل على الرب إلى الأبد، لأن في ياه الرب صخر الدهور» (إش 26: 3، 4).

(ب) **يعلمهم الصلاة والانفتاح على الله**: «اسكبوا قدامه قلوبكم. الله ملجأ لنا» (آية 8ب). في محضره يُفرغون كل ما في قلوبهم من قلق، وعند عرش نعمته يسكبون قلوبهم ويعبرون عن مخاوفهم فيتخلصون منها، ولا يُخفون عنه شيئاً، بل يحدثونه بكل شيء. «مُلقين كلَّ همكم عليه لأنه هو يعتني بكم» (1بط 5: 7) كما أخذ الملك حزقيا رسائل القائد الأشوري ربشاقى، وهي مليئة بالسخرية والتعيير، وبسطها أمام الله، فوجد عنده الملجأ والملاذ والإنقاذ (إش 37: 14).

3- المرنم الواثق في الله يعلم أعداءه: (آيات 9–12).

(أ) **يعلمهم أن الإنسان باطل وتراب**: «إنما باطل بنو آدم. كذبٌ بنو البشر. في الموازين هُم إلى فوق. هُم من باطل أجمعون» (آية 9). آدم مخلوق من تراب، ومعنى اسمه «مولود الأرض– أديم» واسم ابن آدم الثاني «هابيل» ومعناه بخار أو باطل. ولا بد أن يموت ويرجع التراب إلى التراب الذي أُخذ منه. يوجد اليوم ولا يوجد غداً. «كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب، ذبل الزهر، لأن نفخة الرب هبت عليه. حقاً الشعب عشب» (إش 40: 6، 7). «في الموازين هم إلى فوق» خفيف الثقل، ليس فيه ما نرجوه. «هكذا قال الرب: ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان، ويجعل البشر

ذراعه، وعن الرب يحيد قلبه. مبارك الرجل الذي يتكل على الرب، وكان الـرب متكلـه» (إر 17: 5، 7). «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده. تخرج روحه فيعود إلى ترابه. في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره» (مز 146: 3، 4). فالبشريُّ باطل لا ينفع ولا يضر، وليس فيه ما نرتجيه، ولا ما يُخيفنا منه، مهما كان حجم ما نظن أنه يستطيع أن يؤذينا به.

(ب) **يعلمهم أن الغِنى ليس كل شيء**: «لا تتكلوا على الظلم، ولا تصيروا باطلاً في الخطف» (آية 10أ). قد يظن الإنسان أنه عندما يظلم غيره يرتفع، ولكن الظلم لا بد أن يرجع على صاحبه بالدمار. ومن الظلم أن يخطف إنسان من إنسان كرامته أو حقوقه، كما أن هذا لا يمكن أن يُغني الخاطف. «الأشبال احتاجت وجاعت، وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير» (مز 34: 10). «محصِّل الغِنى بغير حق في نصف أيامه يتركه، وفي آخرته يكون أحمق» (إر 17: 11). وقد نصح الرسول يعقوب الأغنياء الذي حصلوا على ثرائهم بطرق ظالمة قائلاً: «هلموا الآن أيها الأغنياء، ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة.. أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم.. تصرخ، وصياح الحصادين قد دخل إلى أذني رب الجنود» (يع 5: 1-4).

«إذا زاد الغِنى فلا تضعوا عليه قلباً» (آية 10 ب) فقد يظن إنسانٌ أنه صنع الثروة بنفسه وذكائه، وأن صحته وذكاءه باقيان، وأن إقبال الظروف عليه سيستمر. ولكن كل ما على الأرض لا يدوم. ويقول المرنم لمن يخطف ويعتمد على غناه: «يهدمك الله إلى الأبد. يخطفك ويقلعك من مسكنك، ويستأصلك من أرض الأحياء، فيرى الصديقون ويخافون، وعليه يضحكون. هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله حصنه بل اتكل على كثرة غناه واعتزَّ بفساده» (مز 52: 5-7).

(ج) **يعلمهم أن العزة لله**: «مرة واحدة تكلم الرب، وهاتين الاثنتين سمعتُ: أن العزة (القوة) لله» (آية 11). وهناك ترجمة أخرى لهذه الآية تقول: «مرة تكلم الله، ومرتين سمعت: أن العزة لله». فقد طرقت كلمة الرب أذني المرنم بقوة، جعلت صداها يتردد في أعماق قلبه، و«من له أذنان للسمع فليسمع» (مت 13: 9). وما أعظم الفرق بين المرنم الذي يسمع صوت الله ويميزه (يو 10: 4) والخاطئ الذي يصفه أليهو بالقول: «الله يتكلم مرة، وباثنتين يلاحظ الإنسان» (أي 33: 14).

كلمة الرب مرة واحدة نافذة المفعول، لها السلطان، ولذلك لا يكرر الله كلامه باطلاً. ولكن هذه الكلمة الواحدة ترددت في مسامع المرنم مرتين: عندما خلقه، وعندما يعتني به.. عندما أعطاه الولادة الجديدة، وعندما نصره على الخطية.. عندما أعطاه الخطوة الأولى من الخلاص بالغفران فور توبته، وعندما يعطيه الخطوة الثانية للخلاص بالتقديس، وهذا يستغرق عمره كله.

ونحن نرى قوة الله وعزَّته مرتين: في محبة الصليب وقوة القيامة. لا يجسر أحد أن يضع نفسه عنا. «ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت، ولكن الله بين محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو 5: 7، 8). هذه هي قوة الحب الباذل. ثم هناك قوة القيامة الظافرة، فلم يكن ممكناً أن يمسك الموتُ المسيح، فهزم الموت والقبر وقام، و«أبطل الموت وأنار الحياة والخلود» (2تي 1: 10) ونرى عزة الله مرتين: في أنه يضمُّ للكنيسة كل يوم الذين يخلصون (أع 2: 47). فعل هذا في القرن الأول، ويفعله اليوم في الذين يُرجعهم إليه. كما تظهر قوته في استمرار كنيسته وسط كل الظروف التي تحاربها وتزيد تحطيمها، لكن أبواب الجحيم لن تقوى عليها (إش 54: 17 ومت 6: 18).

كم من خاطئ لا يسمع صوت الله ولا يرى قوته، فيتحدى الإرادة الإلهية ولا يستسلم لها، ولا يدعو الله، ويحاول أن يسيّر أمور بنفسه، فإن «طريق الجاهل مستقيم في عينيه» (أم 12: 15) وكم من خاطئ قَلِق يائس من رحمة الله، يقيم بعدم إيمانه حاجزاً بينه وبين إلهه.

(د) **يعلمهم أن الله هو المجازي الرحيم**: «ولك يا رب الرحمة، لأنك تجازي الإنسان كعمله» (آية 12). يكافئ الله الأبرار برحمته، ويعاقب الأشرار بعدالته، ويعطي الجميع ما يستحقونه. قال له سليمان وقت تدشين الهيكل: «تحكم على المذنب فتجعل طريقه على رأسه، وتبرر البار إذ تعطيه حسب بره» (1مل 8: 32). ومن رحمة الله أنه لا يوقع عقابه إلا بعد أن يعطي الخاطئ فرصة ليتوب، ولذلك يقول الرسول بولس لمن لا يتوب: «تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله.. الذين يطاوعون للإثم، فسخط وغضب.. ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح» (رو 2: 4-10).

أما الذين يعملون العمل الصالح فيكافئهم الله من رحمته، لأنهم مهما عملوا من خير فقد عملوا مجرد المطلوب منهم. وهم لا يردّون إلا أقل القليل مما أعطاهم. فالمال الذي أعطوه هو من عطاياه. والجهد الذي بذلوه هو من فضله! ورحمته وحدها هي التي تجازي الصالح على العمل الصالح.

فليعطنا الرب أن نعتمد عليه وحده، لأنه وحده الجدير بالثقة، وهو القوي الرحيم العادل، الذي يستحق أن نقول عنه «إنما لله انتظرت نفسي. من قِبَله خلاصي».

اَلْمَزْمُورُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ لَمَّا كَانَ فِي بَرِّيَّةِ يَهُوذَا

1يَا اللهُ، إِلَهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي. يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلاَ مَاءٍ، 2لِكَيْ أُبْصِرَ قُوَّتَكَ وَمَجْدَكَ كَمَا قَدْ رَأَيْتُكَ فِي قُدْسِكَ. 3لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ. 4هكَذَا أُبَارِكُكَ فِي حَيَاتِي. بِاسْمِكَ أَرْفَعُ يَدَيَّ. 5كَمَا مِنْ شَحْمٍ وَدَسَمٍ تَشْبَعُ نَفْسِي، وَبِشَفَتَيِ الابْتِهَاجِ يُسَبِّحُكَ فَمِي. 6إِذَا ذَكَرْتُكَ عَلَى فِرَاشِي فِي السُّهْدِ أَلْهَجُ بِكَ، 7لأَنَّكَ كُنْتَ عَوْناً لِي، وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَبْتَهِجُ.

8الْتَصَقَتْ نَفْسِي بِكَ. يَمِينُكَ تَعْضُدُنِي. 9أَمَّا الَّذِينَ هُمْ لِلتَّهْلُكَةِ يَطْلُبُونَ نَفْسِي فَيَدْخُلُونَ فِي أَسَافِلِ الأَرْضِ، 10يُدْفَعُونَ إِلَى يَدَيِ السَّيْفِ، يَكُونُونَ نَصِيباً لِبَنَاتِ آوَى. 11أَمَّا الْمَلِكُ فَيَفْرَحُ بِاللهِ. يَفْتَخِرُ كُلُّ مَنْ يَحْلِفُ بِهِ، لأَنَّ أَفْوَاهَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ تُسَدُّ.

عطشت إليك نفسي

كتب داود هذا المزمور عندما كان في برية يهوذا، بعيداً جغرافياً عن بيت الرب، وفيه يعلن شوقه البالغ لحضور العبادة في بيت الرب، حيث يرى المجد الإلهي ويجد القوة الروحية. إنه يحب الرب جداً، ويأنس إليه ويأتنس به، ويتحدث إليه. وكانت له اختبارات روحية كثيرة وهو هارب في برية يهوذا، التي اختبأ في كهوفها مرات كثيرة من شاول، ومرة من ابنه أبشالوم لما قام بالانقلاب الفاشل ضده. وكانت عبادة اليهودي تقترن دوماً بتقديم ذبيحة في هيكل الرب، كما فعلت حنة أم صموئيل النبي (1صم 1). ولكن عبادة داود لم تكن قاصرة على الطقوس، بل على العلاقة الشخصية العميقة بالله، فقد كان بينه وبين الرب ودٌ وحُب. وعندما هرب من أمام ابنة أبشالوم أحضر الكاهن صادوق ومعه اللاويون تابوت عهد الرب إلى حيث كان داود، فقال للكاهن: «أرجِع تابوت الله إلى المدينة، فإن وجدتُ نعمة في عيني الرب فإنه يُرجعني ويريني إياه ومسكنه» (2صم 15: 25).

في برية يهوذا كان داود في «برية نفسية» وعطش روحي إلى الله. وفي بُعده الجغرافي عن بيت الرب عبر عن شوقه للرب، فكتب هذا المزمور، الذي قال عنه القديس يوحنا فم الذهب: «يجب أن يُقرأ هذا المزمور كل صباح لأنه دواءٌ يمحو الخطية، ويوقد في قلوبنا حرارة الشوق إلى الله ويشعل فيها نار التعبُّد له، فتفيض حياتنا بالصلاح والمحبة، ونتجهَّز للاقتراب من الله والتواجُد في حضرته».

في هذا المزمور نجد:

أولاً – شوق المؤمن للرب (آيات 1–4)

ثانياً – شبع المؤمن بالرب (آيات 5–7)

ثالثاً – عهد المؤمن مع الرب (آيات 8–11)

أولاً ـ شوق المؤمن للرب

(آيات 1-4)

1 – سبعة أسباب لشوق المرنم للرب:

(أ) **لأنه إلهه**: «يا الله إلهي» (آية 1أ). انتمى المرنم للرب فلا يمكن أن يجد راحته بعيداً عنه، كما قال القديس أغسطينوس: «اللهم، لقد خلقتنا لذاتك، فلن تجد نفوسنا راحةً إلا إذا استراحت فيك». هو الإله القوي الذي نلجأ إليه بثقة وقت أزماتنا.

(ب) **لأنه الأول في حياته**: «إليك أبكر» (آية 1ب). الله هو الأول في حياة المرنم والمتقدم في كل شيء بالنسبة له. يبدأ يومه بالحديث معه لأنه يحبه من كل قلبه وفكره ونفسه وقدرته، كما قيل: «كان كل الشعب يبكرون إليه (إلى المسيح) في الهيكل ليسمعوه» (لو 21: 38). وكما قال النبي: «بنفسي اشتهيتُك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر» (إش 26: 9).

(ج) **لأنه عطشان إليه**: «عطشت إليك نفسي. يشتاق إليك جسدي» (آية 1ج). لقد شبع بالرب، ومع ذلك فإن نفسه متعطشة إليه من جديد. لا تُغني الوجبة الروحية عن الجوع والحاجة إلى تناول الوجبة الروحية التالية، كما أن الوجبة الجسدية لا تغني عن وجبة بعدها. إن المؤمن الذي يذوق حلاوة الرب يطلب أن يذوق منها أكثر ويشبع بها أكثر. وكلما اقترب منه وعاش معه اكتشف أنه لا يستطيع أن يبتعد عنه، بل يريد أن يتمتع به أكثر. قال أحد الأتقياء: «نخطئ كثيراً عندما نحاول أن نطعم الأموات، لأن موتى الذنوب والخطايا لا يعطشون ولا يجوعون لكلمة الله. لكن الإنسان الحي روحياً هو الذي يعطش للارتواء الروحي ويجوع للشبع السماوي!». والحي روحياً يقول: «تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي» (مز 84: 2).

(د) **لأن العالم لا يرويه**: «في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء» (آية 1د). العلم يُشبع العقل والطعام يشبع الجسد، لكنهما لا يُشبعان الروح التي تظل ظمآنة جائعة إلى الله، لأنه الوحيد الذي يشبع النفس. الله هو «كسواقي ماء في مكان يابس، كظلّ صخرة عظيمة في أرض مُعيية» (إش 32: 2).

(هـ) لأنه إله القوة والمجد: «لكي أبصر قوتك ومجدك» (آية 2أ). المرنم في ذاته ضعيف لا يقدر أن يواجه متطلبات الحياة التي تضغطه بضغوط أكبر من طاقته، وهو يحتاج إلى قوة الرب ومجده. وكان تابوت العهد. فأراد أن يرجع إليه ليحس بحضور إله القوة والمجد.

ونحن اليوم ندرك أن حرمان المؤمن من الوجود بين المؤمنين لا يعني حرمانه من حضور إله المؤمنين معه. كان النبي حزقيال مسبياً في بابل عند نهر خابور، لكنه تمتع بيد الرب الحانية عليه، ورأى رؤى الرب (حز 1). وكان يوحنا منفياً في جزيرة بطمس من أجل شهادة المسيح، لكنه كان في الروح، ورأى رؤياه (رؤ 1).

(و) لأنه إله القداسة: «كما رأيتك في قدسك» (آية 2ب). أسرت قداسة الله داود كما أسَرت إشعياء النبي وهو يسمع السرافيم يهتفون : «قدوس! قدوس! قدوس! رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» فقال: «ويلٌ لي لأني هلكت، لأني إنسان نجس الشفتين وساكنٌ أنا بين شعب نجس الشفتين، لأن عينيَّ قد رأتا الملك ربَّ الجنود» (إش 6: 3، 5). وفي إحساس داود بخطاياه اشتاق إلى لمسة من الله القدوس في بيته المقدس، تطهر حياته وتنقي قلبه.

(ز) لأنه إله الرحمة: «لأن رحمتك أفضل من الحياة» (آية 3أ). أراد المرنم أن يبصر قوة الله ومجده في هيكله المقدس، لكن الذي يمنحه الحياة هو الرحمة الإلهية. عندما طلب موسى أن يرى مجد الله أراه الله جودته (خر 33: 18-20).

ورحمة الله هي أفضل من الحياة التي هي أعز شيء على الإنسان، لأنه بدون الرحمة تكون الحياة قفراً بل موتاً أكيداً! لقد كانت حياة المرنم مهدَّدة، ولكن الخطر تلاشى عندما أظهر الله له رحمته.

2 – أسلوب التعبير عن الشوق للرب:

(أ) بترتيل الشكر: «شفتاي تسبحانك. هكذا أباركك في حياتي» (آيتا 3ب و4أ). عبر عن اشتياقه للرب بالتسبيح. شفتاه تسبحان وحياته أيضاً تسبح شكراً وحمداً للإله الصالح القوي المجيد القدوس الرحيم. «هكذا» بسبب رحمتك أباركك وأمدحك وأرنم لك ما دمت موجوداً. وكلما ذكرنا حسنات الرب باركناه بكل ما في باطننا (مز 103: 1، 2). إن مراحمه علينا لا تزول، وهي جديدة في كل صباح (مرا 3: 22، 23) لذلك نرنم له بتسبيح لا يزول، وفي كل صباح.

(ب) بالصلاة: «باسمك أرفع يديَّ» (آية 4ب). نرفع أيدينا باسم الرب الذي يعلن لنا ذاته، ويقول: «إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله» (يو 14: 14). فنقول: «استمع صوت تضرُّعي إذ أستغيث بك، وأرفع يديَّ إلى محراب قدسك» (مز 28: 2). هكذا بسط الملك سليمان يديه وهو يرفع لله صلاة تدين الهيكل، وقال: «أيها الرب إله إسرائيل، ليس إلهٌ مثلَك في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم» (1مل 8: 22). وقال الرسول بولس: «أريد أن يصلي الرجال في كل

مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال» (1تي 2: 8). ففي الصلاة نرفع اليدين لله ونبسطهما، رمزاً للقلب المصلي المرفوع أمام عرش الرب: «إليك يا رب أرفع نفسي» (مز 25: 1). والذي يرفع يديه يعبر عن يقظته للصلاة، وعدم انشغاله إلا بالصلاة وتركيزه على الرب الذي يخاطبه.

ثانياً ـ شبع المؤمن بالرب
(آيات 5-7)

1 – سبب الشبع: «كما من شحم ودسم تشبع نفسي» (آية 5أ). فيعترف أن الله أشبع قلبه. ولا يقصد داود الشحم والدسم حرفياً، فهو يقول «كما» من شحم ودسم. بل يقصد أن الرب يُشبعه بالسماويات والإلهيات والروحيات، وبكل ما هو للرب.

وللتعبير «شحم ودسم» معنيان:

(أ) غنى ودسامة تُشبعان لوقت طويل: كان الشحم أغلى أجزاء الذبيحة، لأنه أكثر أجزائها إشباعاً للإنسان. وعطية الله هي الأفضل وتعطي الشبع المستمر.. في النشيد الذي رنمه موسى بعد كتابة التوراة، يصف بركات الرب على شعبه بقوله إنه أعطاهم «زُبدة بقرٍ ولبن غنم، مع شحم خراف وكباش» (تث 32: 14). ويقول النبي إشعياء إن الشحم والدسم هما وليمة الله القادمة لشعبه «دَردي سمائن ممخَّة» (إش 25: 6). وقال الرب: «أُروي نفس الكهنة من الدسم، ويشبع شعبي من جودي، يقول الرب» (إر 31: 14).

(ب) شِبع الإنسان بالإلهيات: أمرت شريعة موسى بإحراق شحم الذبيحة كله لله: «كل الشحم للرب، فريضة دهرية في أجيالكم في جميع مساكنكم. لا تأكل شيئاً من الشحم» (لا 3: 16، 17). ويصف المرنم الشبع السماوي بقوله: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز 34: 8). ونحن دائماً ضيوف الملك الذي يرتب لنا مائدة، ويجعل كأسنا ريا (مز 23).

2– نتيجة الشبع: «بشفتي الابتهاج يسبحك فمي. إذا ذكرتك على فراشي، في السُهد ألهج بك، لأنك كنت عوناً لي، وبظل جناحيك أبتهج» (آيات 5ب – 7). عندما شبعت نفس المرنم بالإلهيات فاضت شفتاه بالتسبيح. «فلنُقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب 13: 15). وهو يسبح «إذا ذكرتك». و«إذا» هنا ظرفية وليست شرطية، وتعني أن المرنم كلما جافاه النوم أخذ يتأمل مراحم الرب ويتذكرها شاكراً، فتطمئن نفسه وهو مستمرٌ في تفكيره وحمده ليلاً ونهاراً. إن عقله الواعي والباطن لا يكفان عن التأمل في العناية الماضية التي تجعله يذكر الرب بفرح، فيشكره لأنه كان عوناً له ويبتهج بظل جناحيه. والمرنم يفكر في النسر ذي الجناحين الكبيرين القويين اللذين يحميان صغاره،

والذي وصفه موسى بقوله: «كما يحرك النسر عشه وعلى فراخه يرفُّ، ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه، هكذا الرب» (تث 32: 11، 12). أو لعله يفكر في جناحي دجاجة حانية على فراخها «كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها» (متى 23: 37).

ثالثاً ـ عهد المؤمن مع الرب
(آيات 8-11)

نتيجة لشبع أشواق المرنم بالرب قرر أن يجدد عهده في الالتصاق بالرب. ثم ذكر نتيجة قيامه بمتطلبات هذا العهد:

1 – موضوع العهد: «التصقت نفسي بك» (آية 8أ). تمم المرنم الوصية: «الرب إلهك تتقي. إياه تعبد، وبه تلتصق» (تث 10: 20). فكانت علاقته بالرب عميقة ومستمرة، كما يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً (تك 2: 24). يلتصق المرنم بالرب كما التصقت راعوث بنُعمى وهي تقول: «حيثما بتِّ أبيت» (را 1: 16)، وكما يلتصق الغصن بالكرمة ليأخذ العصارة فيأتي بالثمر. التصقت نفس داود بالرب بدون معطل يمنع وصول البركة إليه، فكان الرب رأسه وقائده، وصار هو الخاضع المطيع. وكما لا ينفصل الجسد عن رأسه التصق داود بالرب وثبت فيه، فثبت الرب في داود والتصق به. ومحبة المسيح لن تنفصل عنك وأنت تقول: «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟» (رو 8: 35).

2- نتيجة العهد: (آيات 8ب–11). ذكر المرنم نتيجتين لثبوته في عهده مع الله:

(أ) ارتفاع المؤمن: «يمينك تعضدني. أما الذين هم للتهلكة يطلبون نفسي فيدخلون في أسافل الأرض. يُدفعون إلى يدي السيف. يكونون نصيباً لبنات آوى» (آيات 8ب–10). يقول الرب للمرنم: «لا تخف لأني معك. لا تتلفت لأني إلهك. قد أيَّدتك وأعنتك وعضدتك بيمين بري» (إش 41: 10). يُهلك الرب أعداء المرنم فيدخلون في أسافل الأرض بأن يموتوا ويُدفنوا. ولعل المرنم يذكر ما حدث لمساكن قورح وداثان وأبيرام الذين رفضوا قيادة موسى وقاموا بثورة وانقلاب فاشل ضده، ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم، فهبطوا أحياء إلى الهاوية (عد 16: 25–30) وتحقق معهم إنذار الرب للخطاة: «أجعلهم يسقطون بالسيف أمام أعدائهم وبيد طالبي نفوسهم، وأجعل جثثهم أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض» (إر 19: 7). هكذا سقط شاول على سيفه، و«كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت 26: 52).

(ب) فرح المؤمن: «أما الملك فيفرح بالله. يفتخر كل من يحلف به. لأن أفواه المتكلمين بالكذب تُسد» (آية 11). عبَّر الملك داود عن شوقه لبيت الرب، وتعهد لله أن يلتصق به، فاختبر الفرح الحقيقي. وكل

من يدخل في عهد الرب يفتخر بالرب، ويمتلئ قلبه بالفرح. لقد زرع داود بالدموع، ولا بد سيحصد بالابتهاج (مز 126: 5). «فالذي يتبرّك في الأرض يتبرك بإله الحق، والذي يحلف في الأرض يحلف بإله الحق، لأن الضيقات الأولى قد نُسيت» (إش 65: 16). «يفرح الصديق بالرب ويحتمي به، ويبتهج كل المستقيمي القلوب» (مز 64: 10). أما أعداء المرنم، المتكلمون بالكذب، فسيسد الله أفواههم «لكي يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله» (رو 3: 19).

لقد عطشت نفس المرنم إلى الله، وأروى الله نفسه بشخصه الكريم، ففرح قلبه بالرب، وافتخر به. فهل تشتاق للرب ليفرحك بشخصه؟

الْمَزْمُورُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

1اِسْتَمِعْ يَا اللهُ صَوْتِي فِي شَكْوَايَ. مِنْ خَوْفِ الْعَدُوِّ احْفَظْ حَيَاتِي. 2اسْتُرْنِي مِنْ مُؤَامَرَةِ الأَشْرَارِ، مِنْ جُمْهُورِ فَاعِلِي الإِثْمِ، 3الَّذِينَ صَقَلُوا أَلْسِنَتَهُمْ كَالسَّيْفِ، فَوَّقُوا سِهَامَهُمْ كَلاَماً مُرّاً، 4لِيَرْمُوا الْكَامِلَ فِي الْمُخْتَفَى بَغْتَةً. يَرْمُونَهُ وَلاَ يَخْشُونَ. 5يُشَدِّدُونَ أَنْفُسَهُمْ لأَمْرٍ رَدِيءٍ. يَتَحَادَثُونَ بِطَمْرِ فِخَاخٍ. قَالُوا: «مَنْ يَرَاهُمْ؟». 6يَخْتَرِعُونَ إِثْماً. تَمَّمُوا اخْتِرَاعاً مُحْكَماً، وَدَاخِلُ الإِنْسَانِ وَقَلْبُهُ عَمِيقٌ.

7فَيَرْمِيهِمِ اللهُ بِسَهْمٍ. بَغْتَةً كَانَتْ ضَرْبَتُهُمْ، 8وَيُوقِعُونَ أَلْسِنَتَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. يُنْغِضُ الرَّأْسَ كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، 9وَيَخْشَى كُلُّ إِنْسَانٍ وَيُخْبِرُ بِفِعْلِ اللهِ، وَبِعَمَلِهِ يَفْطَنُونَ. 10يَفْرَحُ الصِّدِّيقُ بِالرَّبِّ وَيَحْتَمِي بِهِ، وَيَبْتَهِجُ كُلُّ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ.

شكوى لعدالة الله

هذا المزمور شكوى إلى العدالة الإلهية. ولا بد أننا جميعاً مررنا بمثل هذا الاختبار، سواء كانت شكوانا من الله إلى الله، أو من أصدقاء كنا نتوقع معونتهم ولم يفعلوا، أو من أصدقاء آذونا، أو من أعداء أساءوا إلينا. وربما شكونا نفوسنا إلى الله، لأننا لم نرتفع إلى المستوى الروحي الذي توقعناه من نفوسنا، فخاب أملنا في أنفسنا!

ونشكر الله لأنه ملجأنا في كل موقف، وهذا ما وجده المرنم، فقد كانت حياته حياة أُنس جميل بالله وصُحبة سماوية مستمرة، وكان يؤمن أن الله موجود معه دائماً في مختلف ظروفه. ويتميز المؤمن المولود من الروح القدس بأن عينيه تتجهان إلى الله دوماً، فلا منقذ إلا أمانته. ونتيجة لاختبارات المرنم السابقة تأكد أن الرب هو المنقذ الأول والوحيد، فتدرب على أن يقرع بابه الكريم أول كل شيء. ثم من خلال الرب يتوجه إلى مصادر المعونة الأخرى، مطيعاً الأمر الرسول: «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو 12: 2). فتغير ذهنه وصار يحول نظره فوراً من المشكلة إلى الله.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – مؤامرة العدو (آيات 1–6)

ثانياً: عدالة الله (آيات 7–10)

أولاً ـ مؤامرة العدو
(آيات 1-6)

يرفع المرنم صلاته لينقذه الله من أعدائه الماكرين المتآمرين المراوغين، المصرِّين على الإيقاع به، وهو يثق أن الله لا بد سيتدخَّل لحمايته.

1 – يشكو من مؤامرة العدو: (آيتا 1، 2).

(أ) **يشكو من عجزه**: «اسمع يا الله صوتي في شكواي» (آية 1أ). هذه استغاثة عاجز عن مواجهة الموقف، يطلب المعونة السريعة.

(ب) **يشكو من خوفه**: «من خوف العدو احفظ حياتي» (آية 1ب). إنه لا يتوهم مشكلة، لكنه يحيا فيها! وهو لا يُنقِص من تقدير قيمة العدو ابن إبليس، الذي يجول كأسدٍ زائر ملتمساً من يبتلعه (1بط 5: 8). ولكنه يعرف قيمة المعونة الإلهية التي له في الرب القادر أن يحفظ حياته، منتظراً الإنصاف الإلهي.

(ج) **يشكو من الأشرار**: «استرني من مؤامرة الأشرار» (آية 2أ). الأشرار هم أصحاب السلوك الأعوج، وهم يخططون العوَج ثم يفاجئونه بالهجوم. ولن يحميه من مكايدهم ومؤامرتهم السرية إلا الستر الإلهي، فإن «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت» (مز 91: 1). يستر الله المرنم ويخبئه حتى لا يجده أعداؤه، كما خبأ الرب إرميا النبي وباروخ الكاتب من الملك الشرير يهوياقيم (إر 36: 26).

(د) **يشكو من الأثمة**: «من جمهور فاعلي الإثم» (آية 2ب). وفاعلو الإثم هم الذين يتعدون حدود الله، وليست مخافة الله أمام عيونهم. كان أعداء داود أذكياء لا بسطاء، متمرسين في الإثم، يدبرون المكايد. أما عيناه فقد شخصتا نحو السماء، وكان قلبه مع الرب.

2 – يشكو من كلام العدو: (آية 3).

استخدم العدو سلاح الحرب الكلامية ضد المرنم ليزعزع ثقته في قوة الصلاة:

(أ) **كلام كالسيف**: «الذين صقلوا ألسنتهم كالسيف» (آية 3أ). كلامهم كسيفٍ مصقول مسنون يذبح، وكثيراً ما يكون جرح الكلام أبلغ من جرح السيف. ويصف المرنم اللسان الذي يذبح بتملُّق فيقول: «أنعم من الزبدة فمه وقلبه قتَّال. ألين من الزيت كلماته وهي سيوف مسلولة» (مز 55: 21). ويصف أيضاً اللسان الذي يذبح بهجومه الذي لا يرحم، فيقول: «نفسي بين الأشبال. أضطجع بين المتَّقدين بني آدم (أي: المشتعلين بنيران الغضب). أسنانهم أسنَّة وسهام، ولسانهم سيف ماضٍ» (مز 57: 4).

(ب) **كلامهم كالسهم**: «فوَّقوا سهمهم كلاماً مُراً» (آية 3ب). قال شاعر عربي:

جراحات السِّنانِ لها التئامُ ولا يلتامُ ما جرح اللسانُ

«وأما اللسان فلا يستطيع أحدٌ من الناس أن يذلِّله. وهو شرّ لا يضبط، مملوٌ سماً مميتاً. به نبارك الله الآب، وبه نلعن الناس الذين قد تكوَّنوا على شبه الله» (يع 3: 8، 9). وفي جراحات اللسان يلجأ المؤمن لمعونة السماء، عالماً أنه «إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم، لأن روح المجد والله يحل عليكم» (1بط 4: 14).

3- يشكو من فخاخ العدو: (آيتا 4، 5).

(أ) **يتّفقون ضده**: «ليرموا الكامل في المختفى. بغتة يرمونه ولا يخشون. يشددون أنفسهم لأمر رديء» (آية 4). «أهل الدماء يبغضون الكامل» (أم 29: 10). إنهم لا يملكون شجاعة المواجهة فيجيئون متخفين. ويأتون بغتة بغير توقع لينالوا مُبتغاهم. إنهم لا يخافون الله ولا يهابون إنساناً، فيتآمرون ويتفقون ويشجعون بعضهم بعضاً ضد المرن.

(ب) **يتكلمون ضده**: «يتحادثون بطمر فخاخ: قالوا: من يراهم؟» (آية 5). كلامهم كالفخ المطمور المختفي الذي يُمسك بالمرنم، وهم يظنون أن لا أحد يراهم، وكأن لا عدالة إلهية تنصف المظلوم، وينسون أن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما (جا 5: 8). «ويلٌ للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب، فتصير أعمالهم في الظلمة، ويقولون: من يبصرنا ومن يعرفنا؟» (إش 29: 15).

4- يشكو من اختراعات العدو: (آية 6).

(أ) **اختراع مُحكم**: «يخترعون إثماً. تمموا اختراعاً محكماً» (آية 6أ). يخترع الأشرار كل يوم فخاً أقوى من سابقه، فمهما حاول أن ينجو يسدون في وجهه كل باب للنجاة، بمؤامرة سرية مُحكمة.

(ب) **مكر عميق**: «وداخل الإنسان وقلبه عميق» (آية 6ب). مكر الأعداء عميق. «اليدان إلى الشر مجتهدتان» (مي 7: 3). ولكن الله يعرف خفايا القلوب. «القلب أخدع من كل شيء، وهو نجيس. من يعرفه؟ أنا الرب فاحص القلب.. لأعطي كل واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله» (إر 17: 9، 10).

تعب المرنم وطلب الإنقاذ. لقد علَّم إبليس الأعداء كيف يحيكون مؤامراتهم، ويطلب المرنم أن يعلمه الروح القدس مواهب جديدة ليستطيع أن يواجه أعداءه وينتصر عليهم.

ثانياً: عدالة الله

(آيات 7-10)

1- عدالة الله تعاقب الأشرار: «فيرميهم الله بسهم. بغتة كانت ضربتُهم» (آية 7). يرمي الأشرار سهامهم في المختفى (آية 4) أما سهم الرب فواضح وسريع ويصيب بغتة. فالسهم الموجَّه للؤمن لا بد أن يرتد إلى أعدائه. وسهام الله أسرع وأقوى، فنقول: «لأنك تجعلهم يتولَّون. تفوِّق السهام على أوتارك تلقاء وجوههم» (مز 21: 12). «لي النقمة، أنا أجازي» (تث 32: 35، 36 ورو 12: 19).

عندما جاء ربشاقى يقود جيش أشور العظيم ليهاجم بني إسرائيل، سخر من الملك حزقيا وكتب لـــه: «لا يخدعك إلهك الذي أنت متوكل عليه قائلاً: لا تُدفع أورشليم إلى يد ملك أشور». فحمل حزقيا الرسالة معه إلى الهيكل وصلى: «يا رب الجنود إله إسرائيل، الجالس فوق الكاروبيم، أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض. أنت صنعت السموات والأرض. أمل أذنك واسمع. افتح يا رب عينيك وانظر، واسمع كل كلام سنحاريب الذي أرسله ليعير الله الحي». فخرج ملاك الرب وقتل من جيش أشور 185 ألفاً. فعادت بقية جيش أشور من حيث أتوا (إش 37: 10، 16، 17، 36، 37).

2- يؤذي الأشرار أنفسهم: «يوقعون ألسنتهم على أنفسهم. يُنغض الرأس كلُّ من ينظر إليهم» (آية 8). لا بد أن يرتدَّ السيف الكلامي المسلول المصقول الذي يدين على من يحاول أن يصيب به. إنـــه يـــدين نفســـه ويرجع على أصحابه. أما المحيطون بهم فيحركون رؤوسهم سخرية وتعجباً مما جرى لأعـــداء المـــرنم الذين كانوا في الظاهر منتصرين. كان الشرير موجوداً وقوياً، ولكنه لم يعد كما كان!

2- عدالة الله تُعلم البشر: «ويخشى كل إنسان ويخبر بفعل الله، وبعمله يفطنون» (آية 9). يدرك البشر أن قوة الله تعمل لصالح المؤمنين به، ويفطن الناس للعمل الإلهي، إذ يرون يد الله من وراء نجـــاة المـــؤمن وهلاك الشرير. قد يبدو الشر ناجحاً لفترة، لكن لا بد أن ينهار على رؤوس أصحابه. وقد يحيا المؤمنون كأقلية تحت ضغوط خارجية كبيرة، لكن الإله الصالح يعمل وسطهم وبهم ولهم بكل قوة وسلطان. قـــال الله على فم هوشع: «من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور، وفهيم حتى يعرفها؟ فإن طرق الرب مستقيمة، والأبرار يسلكون فيها، وأما المنافقون فيعثرون فيها» (هو 14: 9).

3- عدالة الله تفرح الصدِّيقين: «يفرح الصديق بالرب ويحتمي به، ويبتهج كل المستقيمي القلوب» (آية 10). بدأ المرنم مزمور مشتكياً خائفاً، وختمه بفرحة التبرير الذي يمنحه الله للمؤمن فيجعل منه صدِّيقاً، لأنـــه اختبر الصلاح والعدل الإلهيين، ونال النجاة من عند الله.

هذا اختبار الكنيسة واختبار أفرادها، فكل مؤمن يعيش قصة هذا المزمور دائماً. فـــدعونا نحيـــا بفـــرح الصديق بالرب، واثقين محتمين به أكثر، فيخزى الأشرار ويتشجع المؤمنون جميعاً ويفرحون معاً.

اَلْمَزْمُورُ الْخَامِسُ وَالسِّتُّونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ. تَسْبِيحَةٌ

1لَكَ يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ يَا اللهُ فِي صِهْيَوْنَ، وَلَكَ يُوفَى النَّذْرُ. 2يَا سَامِعَ الصَّلاَةِ، إِلَيْكَ يَأْتِي كُلُّ بَشَرٍ. 3آثَامٌ قَدْ قَوِيَتْ عَلَيَّ. مَعَاصِينَا أَنْتَ تُكَفِّرُ عَنْهَا. 4طُوبَى لِلَّذِي تَخْتَارُهُ وَتُقَرِّبُهُ لِيَسْكُنَ فِي دِيَارِكَ. لَنَشْبَعَنَّ مِنْ خَيْرِ بَيْتِكَ، قُدْسِ هَيْكَلِكَ.

5بِمَخَاوِفَ فِي الْعَدْلِ تَسْتَجِيبُنَا يَا إِلَهَ خَلاَصِنَا، يَا مُتَّكَلَ جَمِيعِ أَقَاصِي الأَرْضِ وَالْبَحْرِ الْبَعِيدَةِ. 6الْمُثْبِتُ الْجِبَالَ بِقُوَّتِهِ، الْمُتَنَطِّقُ بِالْقُدْرَةِ، 7الْمُهَدِّئُ عَجِيجَ الْبِحَارِ، عَجِيجَ أَمْوَاجِهَا، وَضَجِيجَ الأُمَمِ. 8وَتَخَافُ سُكَّانُ الأَقَاصِي مِنْ آيَاتِكَ. تَجْعَلُ مَطَالِعَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ تَبْتَهِجُ. 9تَعَهَّدْتَ الأَرْضَ وَجَعَلْتَهَا تَفِيضُ. تُغْنِيهَا جِدّاً. سَوَاقِي اللهِ مَلآنَةٌ مَاءً. تُهَيِّئُ طَعَامَهُمْ لأَنَّكَ هَكَذَا تُعِدُّهَا. 10أَرْوِ أَتْلاَمَهَا. مَهِّدْ أَخَادِيدَهَا. بِالْغُيُوثِ تُحَلِّلُهَا. تُبَارِكُ غَلَّتَهَا. 11كَلَّلْتَ السَّنَةَ بِجُودِكَ، وَآثَارُكَ تَقْطُرُ دَسَماً. 12تَقْطُرُ مَرَاعِي الْبَرِّيَّةِ، وَتَتَنَطَّقُ الآكَامُ بِالْبَهْجَةِ. 13اكْتَسَتِ الْمُرُوجُ غَنَماً، وَالأَوْدِيَةُ تَتَعَطَّفُ بُرّاً. تَهْتِفُ وَأَيْضاً تُغَنِّي.

ترنيمة شكر على الحصاد

كُتب هذا المزمور ليُنشَد في عيد الحصاد، أو عيد الباكورة، الذي كان بنو إسرائيل يعيدونه حسب أمر الرب: «متى جئتم إلى الأرض التي أنا أعطيكم وحصدتم حصيدها، تأتون بحُزمة أول حصيدكم إلى الكاهن، فيردد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم» (لا 23: 9–14). فكانوا يحتفلون في عيد الباكورة احتفالاً خاصاً، ينشدون أثناءه هذا المزمور، ويجتمعون معاً للعبادة والشكر ليقدموا للرب أول الحصاد اعترافاً بفضله عليهم. ونحن نقرأ هذا المزمور في نهاية كل عام، لنرفع الشكر لله على بركاته التي أنعم بها علينا في سنة مضت.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المؤمنون يسبحون الله (آيات 1–5).

ثانياً – الطبيعة تسبح الله (آيات 6–8).

ثالثاً: الحصادون يسبحون الله (آيات 9–13).

أولاً ـ المؤمنون يسبحون الله

(آيات 1-5)

يليق بالمؤمنين أن يجتمعوا في بيت الرب ليرفعوا تسابيح الشكر لسامع الصلاة الذي يسمع ويستجيب لكل خليقته. صحيحٌ أن خطاياهم تفصل بينهم وبينه، لكنه يكفر عنهم، فيجدون أعظم سعادة في بيته ومحضره.

1 – يسبح المؤمنون سامع الصلاة: «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون، ولك يُوفَى النذر. يا سامع الصلاة، إليك يأتي كل بشر» (آيتا 1، 2). يسبح المؤمنون الرب ويوفونه نذورهم، لأنه أعطاهم ما طلبوه، قائلين: «من قبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة. أوفي بنذوري قدام خائفيه» (مز 22: 25). (انظر تعليقنا على النذور في مزمور 50: 14).

قال جون كلفن إن الله لا يكف عن سماع الصلاة إلا عندما يكفُّ أن يكون الله! وهو يسمع لأنه يقدر أن ينتبه لطلبات طالبيه ويحقق منها ما هو لخيرهم «وهذه هي الثقة التي لنا عنده: أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا. وإن كنا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا. نعلم أن لنا الطلبات التي طلبناها منه» (1يو 5: 14، 15). فينبغي أن يُصلَّى في كل حين ولا يُمل (لو 18: 1). فلنسأل لنأخذ، ولنطلب لنجد، ولنقرع فيفتح لنا (مت 7: 7). إنه يسمع جميع البشر ويعطيهم، وهم ينقسمون إلى قسمين: أبناء يطلبون من أبيهم السماوي، وشحاذين يطلبون من سيدهم المنعِم. لكن السيد المنعم يريد أن يرفعنا من مقام الشحاذين إلى مقام الأبناء، فقد أنعم بالتبني على كل الذين يقبلون المسيح المخلص ويضعون ثقتهم في فدائه (يو 1: 12)، فيقولون بعضهم لبعض: «انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله» (1يو 3: 1). فهم لم يعودوا عبيداً، بل أبناء وورثة (رو 8: 17). ومن منطلق البنوية نأتي إليه في وقت الاحتياج كما في وقت عدم الاحتياج، نعبر له عن محبتنا، ونبثه أشواقنا ونسكب نفوسنا أمامه قائلين: «عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي» (مز 42: 2). فنزداد اقتراباً إليه في كل وقت، لتشبع نفوسنا بثمر محبته وسلامه، ونستمتع بالأُنس به، دون أن تمل النفس من الحديث معه.

2 – يسبح المؤمنون الغفور الرحيم: «آثام قد قويت عليَّ. معاصينا أنت تكفر عنها» (آية 3). يغفر الله كل ذنوب التائب المعترف، مهما كانت ثقلها. ويصفها المرنم مرة بأنها آثامه، في قوله: «آثام قد قويت عليَّ» والآثام هي كل سلوك أعوج. ويصفها مرة أخرى أنها آثامه وآثام شعبه، في قوله: «معاصينا أنت تكفر عنها». والمعاصي هي كل سلوك يخالف الإرادة الإلهية ويقاومها. ومن صيغتي المفرد والجمع نرى أن كل عابد يجب أن يعترف اعترافاً فردياً بخطيته الشخصية، كما يعترف عن الجماعة كلها، فنحن نقف أمام الله كأفراد، كما نقف أمام الله كجماعة، يعترف كل واحد منا عن نفسه، وهو يحس بتقصير كل المؤمنين، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الفردي والجماعي. ففي يوم الكفارة العظيم كان رئيس الكهنة يدخل إلى قُدس الأقداس، أولاً بدمٍ عن نفسه هو، فيقبل الرب توبته، ثم يدخل ثانية بدم عن

جميع الشعب ليغفر الرب لكل شعبه (لا 16).. هكذا فعل نحميا لما قال: «أنا وبيت أبي قد أخطأنا» (نح 1: 69). وهكذا صلى دانيال واعترف بخطيته وخطية شعبه (دا 9: 20).

والمعاصي والآثام هم الأعداء الذين لا نقدر أن نهزمهم وحدنا، فقد «قويت علينا». ولا يقدر أحدٌ مهما كان صالحاً أن يكفر عن معاصيه. فلنلجأ جميعاً لرب قائلين: اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، بمعنى أن يسترها ويمحوها. فبعد أن نعترف لله تائبين يكفر عنا ويستر خطايانا فلا تعود تقوم ضدنا أمامه. ونلاحظ أن الغفران والتكفير يسيران معاً، فيعلمنا الإنجيل أن الذبائح الكفارية التي أمرت بها شريعة موسى كانت رمزاً لكفارة المسيح الكاملة، فهو «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو 1: 29). وهو الذي غسلنا من خطايانا بذبحه العظيم، وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه (رؤ 1: 5، 6). ويوفي المسيح ديوننا بفضل كفارته «وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا» (إش 53: 5). وفي صليبه أعطى العدالة الإلهية حقها، كما أوضح لنا رحمة الله بأوضح برهان، وبكفارته «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما» (مز 85: 10).

2 – يسبح المؤمنون الله المعبود: «طوبى للذي تختاره وتقربه ليسكن في ديارك» (آية 4أ). اختار الرب سبط لاوي ونسل هارون ليخدموا بيته، وأراد لكل بني إسرائيل أن يكونوا مملكة كهنة وأمة مقدسة (خر 19: 6) وبهذا جعلهم ضيوفه الذين يشبعهم من نعمته، كما اعتبرهم أهل بيته. ووضع عليهم مسؤولية تبليغ رسالة حبه وصلاحه إلى جيرانهم. ولكنهم تقاعسوا، واحتفظوا بأخبار نعمة الله لأنفسهم وحدهم. فمنح الله هذا الامتياز لكل من يقبل المسيح مخلصاً وفادياً. طوبى لمن يختاره الرب ليسكن في دياره، لأن الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت (مز 91: 1). هذا هو الآمن الذي ينتهي اغترابه، فيستقر ويهدأ نفساً، ويوصف بالقول: «هداهم طريقاً مستقيماً ليذهبوا إلى مدينة سكن . فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم» (مز 107: 7، 8). والذي يسكن في ديار الرب يتعبد للرب في زينة القداسة (مز 93: 5) ويستمع لكلمته التي تتقي القلب (يو 15: 3)، ويحظى بالوجود القريب من الرب، ويتحقق له قول المسيح: «الذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي.. إن أحبني أحد يحفظ كلامي، يحبه أبي، وإليك نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو 14: 21، 23).

أما البركة الكبرى فهي: «لنشبعنَّ من خير بيتك ومن قدس هيكلك» (آية 4ب) ففي هيكل الله المقدس شبع النفس «إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس» (إش 26: 8). «يُروون من دسم بيتك، ومن نهر نعمتك تسقيهم» (مز 36: 8). فليس بالخبز ووحده يحيا الإنسان، بل بإشباع روحه من كلمة الرب. و«طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبَعون» (مت 5: 6).

4– يسبح المؤمنون صاحب السلطان: «بمخاوف في العدل تستجيبنا يا إله خلاصنا» (آية 5أ). نخاف الله ونهابه، وتبهرنا عنايته وهو يستجيبنا برعايته التي تُذهلنا. ومن نماذج ذلك ما حدث مع بني إسرائيل في

معجزات الخروج، وعمود النار، وعمود السحاب، وانشقاق البحر الأحمر، والماء الذي خرج من الصخر، والسماء التي أمطرت المَّن في مطلع كل صباح، والثياب والنعال التي لم تبلَ مدة أربعين سنة. ونظر المصريون ما أنزله الله بهم من عقاب، وما أنزله إلى بني إسرائيل من بركات، فارتعبوا. وهذه هي المخاوف العادلة. فالله يُخيف الأعداء لأنه عادل، ويُنقذ خاصته لأنه رحيم.

ونحن اليوم نختبر عدل إلهنا ورحمته، فهو يجازي كل واحد حسب عمله، وهو يغفر ذنوب كل المعترفين بخطاياهم المحتمين في كفارة المسيح. فلنسلك في طاعة الله متممين خلاصنا بخوف ورعدة، لأن الله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة (في 2: 12، 13).

5 – يسبح المؤمنون إله العالم كله: «يا متَّكل جميع أقاصي الأرض والبحر البعيدة» (آية 5ب). حتى إن كانوا لا يعرفونه ولا يعبدونه حق عبادته. إنهم يعتمدون على نور شمسه، وكريم مطره. والمرنم هنا يخرج من تفكيره المحلي المحدود بشعبه بني إسرائيل ليتحدث عن الله إله العالم كله، فرآه رب العالمين، متكل كل البشر الذي يصرخ إليه الجميع. «تسجد وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض، وتسجد قدامك كل قبائل الأمم، لأن للرب المُلك، وهو المتسلط على الأمم» (مز 22: 27، 28). الرب يُحسن إلى البشر جميعاً بمحبة حقيقية، ولا يُعير. «كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حينه.. تفتح يدك فتشبع خيراً» (مز 104: 27، 28). وقال بولس لأهل أثينا الذين كانوا يعبدون الأصنام: «فالذي تتَّقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا أنادي لكم به. الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه، إذ هو رب السماء والأرض.. يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء» (أع 17: 23–25).

ثانياً _ الطبيعة تسبح الله

(آيات 6-8)

خلق الله الكون ويضبطه، وهو المتحكم في كل قوى الطبيعة ويحفظها. قال له نحميا: «أنت هو الرب وحدك. أنت صنعت السماوات وسماء السموات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها، والبحار وكل ما فيها. وأنت تحييها كلها. وجند السماء لك يسجد» (نح 9: 6).

1 – الطبيعة تسبح الذي يثبتها: «المُثبت الجبال بقوته، المتنطق بالقدرة» (آية 6). هو الخالق الذي لا ينسى خليقته. خلقها ويهتم بها، فالأفلاك تدور والنجوم ثابتة في مداراتها، والجبال راسخة في أماكنها. «إلى دور فدور أمانتك. أسست الأرض فتثبتت» (مز 119: 90) لذلك تُدعى «الجبال الدهرية» (حب 3: 6). قال المسيح: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يو 5: 17). صحيح أن عمل الله في خلق العالم قد انتهى، ولكنه لا يزال يضبط الأكوان. فلنهتف له: «أنت مستحقٌ أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وخُلقت» (رؤ 4: 11).

2- الطبيعة تسبح الذي يهدئها : «المهدئ عجيج البحار، عجيج أمواجها، وضجيج الأمم» (آية 7). قال الرب: «أنا الذي وضعتُ الرمل تخوماً للبحر فريضة أبدية لا يتعداها، فتتلاطم ولا تستطيع، وتعج أمواجه ولا تتجاوزها» (إر 5: 22). الرب هو الذي «انتهر بحر سوف فيبس، وسيَّرهم في اللجج كالبرية، وخلصهم من يد المبغض، وفداهم من يد العدو» (مز 106: 9، 10). والرب هو الذي يُسكت العاصفة. تهيج العواصف فتثور الأمواج، فيُسكت الرب العاصفة ليهدأ الموج. وهذا ما فعله المسيح، لأنه صاحب السلطان على الطبيعة (مت 8: 26، 27). وقد وصف إشعياء سلطان الله على الشعوب الثائرة ضد شعبه، كثورة الطبيعة الهائجة، فقال: «ضجيج شعوب كثيرة تضج كضجيج البحر، وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة! ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً، وتُطرد كعُصافة الجبال أمام الريح، وكالجُلّ أمام الزوبعة. في وقت المساء إذاً رعبٌ! قبل الصبح ليسوا هم! هذا نصيب ناهبينا وحظ سالبينا» (إش 17: 12–14).

عندما تضج أمواج البحر يجيء الكرب، وتصيب الحيرة الأمم. وأحياناً تقوم أممٌ على شعب الرب، حتى نتساءل: «لماذا ارتجَّت الأمم وتفكَّر الشعوب في الباطل؟» (مز 2: 1) ولكن الله يهدئ العجيج والضجيج، فتسبح الطبيعة الرب الذي يهدئها، ويشاركها المؤمنون!

3- الطبيعة تسبح الرب الذي يعلم البشر : «تخاف سكان الأقاصي من آياتك. تجعل مطالع الصباح والمساء تبتهج» (آية 8). فعندما يتأمل الناس عمل الله في الطبيعة، يرون «السماوات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه. يومٌ إلى يوم يذيع كلاماً، وليلٌ إلى ليل يُبدي علماً. لا قول ولا كلام. لا يُسمع صوتُهم، في كل الأرض خرج منطقهم» (مز 19: 1–4). فالله يشرق شمسه، فيجعل مطالع الصباح تبتهج ببدء يوم جديد. وعندما تغرب الشمس تأتي مطالع الليل، فيبتهج الناس لأن الله كلل عمل اليوم بالنجاح، وأعطى عبيده المشتغلين راحة بعد تعب عمل اليوم وعنائه.

ويكلل الله بدء حياة الخاطئ التائب بفرح الغفران، فيجعل مطالع حياته تبتهج. ويكلل نهاية حياته بإكليل الحياة، فيجعل نهاية حياته تبتهج إذ «يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم» (مت 13: 43).

ثالثاً: الحصّادون يسبحون الله

(آيات 9-13)

يهدف المرنم من مزموره أن يشكر الله على المحصول الوفير الذي أعطاه لشعبه في سنة زراعية، بفضل المطر الغزير الذي روى الأرض، فأعطت ثمرها المبهج للقلوب، واخضرَّت المراعي فكثرت الأغنام، وانطلقت ألسنة الحصادين والرعاة تلهج بالتهليل.

1 – الحصادون يسبحون مروي الأرض: «تعهَّدت الأرض وجعلتها تفيض. تُغنيها جداً. سواقي الله ملآنة ماءً. تهيئ طعامهم لأنك هكذا تُعدُّها. أروِ أتلامها. مهّد أخاديدها. بالغيوث تحللها، تبارك غلتها» (آيتا 9، 10). يرسل الله المطر المبكر في أول الشتاء ليجهز المحصول للحصاد. ولا يمكن أن يحصل الحصادون على حصاد وفير إلا إذا أمطرهم الله في الوقت المناسب وبالكمية المناسبة. وعند الرب مخازن الماء (تث 11: 11 وأي 38: 25–28). وهكذا هيأ لهم طعامهم بأن هيأ الأرض بالمطر المبكر الذي جهزها للبذار، ثم روى أتلامها (وهو ما يشقه محراث الفلاح من الأرض) ومهد أخاديدها (أي حُفرها المستطيلة) وحلل تربتها ليُسهل نزول جذور النبات فيها، فتباركت غلتُها. وبعد أن يقوم الفلاح بدوره من حرث الأرض وبذر البذور فيها، لن تنبت إلا بالعمل الإلهي «إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقي، بل الله الذي يُنمي» (1كو 3: 7) «ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك، بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتُنبِت، وتعطي زرعاً للزارع وخبزاً للآكل» (إش 55: 10). ولا يمكن أن يحصد الحصادون لو لم تحتضن الأرض البذور، فتُخرج نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن في السنبل (مر 4: 28).

ويبتهج المؤمنون بالماء الحي الذي يُحيي به المسيح نفوس محبيه، وهو يقول لهم: «مَن يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» (يو 4: 14). ويُشبع المسيح نفوس محبيه بحسب قوله: «أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً» (يو 6: 35).

2 – الحصادون يسبحون مُنبت الزرع: «كللت السنة بجودك، وأثارك تقطر دسماً. تقطر مراعي البرية وتتنطق الآكام بالبهجة» (آيتا 11، 12). أعطت الحقول ثمارها، وحصد الناس الخير، وكلل الله السنة، فإكليل السنة هو حصاد محصولها. وظهرت آثار عطايا الله واضحة في آثار عجلات العربات المحملة بالمحصول الوفير، وفي ما تساقط على جانبي الطريق من بعض ما حملته. فمن فرط ما حملت بركة ودسماً أخذ الدسم يقطر منها. وهذا يعني أن الله أعطى بركة أكبر مما طلبوا أو افتكروا، وأنعم عليهم بأكثر من احتياجاتهم، لأنه يعطي بفيض وغنى. وكثر العشب في المراعي فقطرت غذاءً للحيوان، فتنطَّقت التلال والآكام بالبهجة، أي شدت وسطها بحزام لترقص فرحاً. «لأنكم بفرح تخرجون، وبسلام تُحضَرون. الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنماً، وكل شجر الحقل تصفق بالأيادي» (إش 55: 12).

3 – الحصادون يسبحون راعي الأغنام والبشر: «اكتست المروج غنماً، والأودية تتعطف براً، تهتف وأيضاً تغنّي» (آية 13). كثُر عدد الأغنام حتى غطت المراعي، فكأنها اكتست غنماً! وارتوت الأرض فأنبتت عشباً، ونبت القمح وغطى الأودية، فكأنها لبست معطفاً من القمح. «الذي يجعل تخومك سلاماً ويُشبعك من شحم الحنطة» (مز 147: 14). وفي تمايل النباتات الوفيرة مع نسمات الريح بدا وكأن الأودية تتمايل معها،

موحية لمن يراها بأنها ترقص، لأن المحصول غطى كل جزء في الوادي، فهتفت الأودية وغنت شكراً وحمداً لله على البركة الموهوبة لها من عنايته.

فلنسبح الله راعينا الذي يفتش عن الواحد الضال حتى يجده، ومتى وجده يحمله على كتفيه محتفياً بنجاته وعودته سالماً. ولنسبح الله راعينا الذي معه لا يعوزنا شيء (مز 23: 1). ولنسبح الذي يعلي المسكين نم الذل (مز 107: 41). ولنرنم هذا المزمور، لأن الله دائماً يسمح ويغفر ويعطينا فرص التوبة والعبادة، ويستجيب لنا ويمتعنا دائماً بالطبيعة التي يثبتها ويهدئها لتعلمنا أنها تحت أمره. وهو الذي يروي ويُشبع دائماً بأكثر مما نحتاج، ويعطي ما لا نستطيع أن نحصل عليه بمجهودنا الشخصي. فله ينبغي التسبيح. «يحمدك يا رب كل أعمالك، ويباركك أتقياؤك. بمجد مُلكك ينطقون» (مز 145: 10، 11).